فاجتمع سوكولوف، كبير مفكريهم ودهاتهم بالبابا بنديكت الخامس عشر في عام ١٩١٧، وتمكن من انتزاع كلمة عاطفية منه كانت بمثابة الوثيقة التاريخية لهم، حيث يفخر الصهيونيون بترديدها دائما كجواب بابوي على مشروع سوكولوف في فلسطين: «نعم اعتقد اننا سنكون جيرانا جيرة حسنة»(٤٣) . كما تابع وايزمن الاتصالات مع البابا بنديكت الخامس عشر ايضا في عام ١٩٢١، وبعد أربع سنوات على مقابلة سوكولوف له، كدليل قاطع على أهمية كلمة البابوية وموقفها من ناحية، واستخدام الصهيونية لجميع وسائلها ـ والدبلوماسية منها خاصة ـ من ناحية ثانية.

موقف الولايات المتحدة الاميركية من الصهيونية

على اثر اضطهاد اليهود في روسيا، توجه كثير منهم، وبخروج جماعي، إلى «اوروبا الغربية واميركا، وحوالي ثلاثة آلاف منهم إلى فلسطين» (٤٤) . وكانت الهجرة اليهودية إلى اميركا قد سبقت هذا التاريخ، مما ادى للشعور الاميركي بهذا الخطر المتزايد يوما بعد يوم، حيث «بلغ عددهم في اميركا سنة ١٨٨٠ حوالي ٢٣٠ ألفا هاجر معظمهم إليها من اوروبا الغربية واسبانيا والبرتغال»(٤٥) . وهذا ما دفع بالحكومة الاميركية للتخوف من مخاطر وجودهم، والعمل بشتى الوسائل للحيلولة دون تزايدهم، ولكي تدير وجوههم شطر بلد آخر. فأوعزت الى سفيرها لدى الباب العالي للاهتمام بهذا الموضوع ولاسكانهم في فلسطين وسوريا. لكن المحادثات التي جرت مع وزير الخارجية العثماني لم تسفر عن نتيجة ايجابية بصدد اسكانهم في فلسطين، بينما قبلت السلطنة باسكانهم في المناطق غير المأهولة في العراق، وعلى ضفاف العاصي، وحول حلب. لكن التطورات السياسية الاميركية بدأت تكشف الانحياز الاميركي للصهيونية ابتداء من الحرب العالمية الاولى لاسباب تتعلق بالمصالح الحيوية الاميركية على ضوء التوقعات بانتهاء عظمة الاستعمار البريطاني والفرنسي، لتحل الولايات المتحدة محلها كوريث شرعي.

وعلى هذا الاساس، لعب الرئيس ويلسون، صاحب المبادىء الاربعة عشر المتضمنة حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، دوره الخطير إلى جانب الوطن القومي اليهودي من خلال وعد بلفور الصادر في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧، وهو الذي قال عن اتفاق سايكس ـ بيكو إنه ظاهرة من ظواهر الاستعمار وعمل مناقض لحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها. وعن طريق المفاوضات، التي جرت بين بريطانيا وأميركا بصدد وعد بلفورو النص الذي يجب ان يصدر به، كان للرئيس الاميركي ويلسون دوره الأول في اختيار الكلمات التي تضمّنها هذا التصريح، حيث انتقاها كلمة كلمة، فأتت بما هو معروف اليوم بوعد بلفور، وبشكل كتاب رسمي موجه من بلفور وزير الخارجية البريطانية إلى اللورد روتشيلد الصهيوني. وقد تلقى ويلسون رئيس الولايات المتحدة، من لويد جورج ومن وايزمن نص ما اتفق عليه من عبارات وعد بلفور، فوافق على ذلك وباركه قبل أن يصدر الوعد رسميا في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧(٤٦) .

ومن المؤكد ان الرئيس الاميركي لم يوافق على ذلك دون استشارة كبير اخصائييه ومساعديه والذي كان يعتبر الابرة المغناطيسية في دماغ ويلسون، وهذا المستشار الأول هو القاضي الاميركي اليهودي براندیز المشهور بقوله عام ١٩١٦ «ان القصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة الى فلسطين، هو ان يصبح اليهود اكثرية السكان فيها، وان يرحل العرب عنها إلى الصحراء»(٤٧) . كما كان إلى جانبه ايضا، بالاضافة الى براندیز، اثنان من مستشاريه الاقوياء، وكانا من اليهود ايضا وهما «مترجم لم يعرف الا باسم منتو، وآخر اسمه كيش وجميع هؤلاء يرمون عن قوس واحدة، بسهام مختلفة إلى حد واحد»(٤٨) .